أَدَبُ الأَنْبِيَاءِ عليْهِم السَّلام مَعَ اللّهِ فِي الْقرآنِ الكَرِيم

د. عمر بن مبيريك حذيفة الحسيني

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

بجامعة طيبة بالمدينة المنورة - المملكة العربية السعودية

dr-omar.m@hotmail.com

مجلة تعظيم الوحيين

مُلخص البحث

موضوع البحث:

أدب الأنبياء مع الله عز وجل في القرآن الكريم.

الهدف الرئيس للبحث:

إظهار أدب الأنبياء عليهم السلام مع الله عز وجل في القرآن الكريم ومن ثم الاقتداء بهم والسير على نهجهم، في أخلاقهم وتعاملهم.

مشكلة البحث:

١. ما الفرق بين أدب الأنبياء مع الله تعالى وفضلهم وثناء الله عليهم في القرآن الكريم؟

٢. ما أدب الأنبياء عليهم السلام مع ربهم من خلال قصصهم في القرآن الكريم؟

أهم نتائج البحث:

١. أن الأدب مع الله تعالى علم ينبغي فهمه وتعلمه كغيره من العلوم.

٢. أنبياء الله تعالى بعد نبينا ﷺ لهم السبق في هذا الخلق، وقد حكى القرآن شيئاً من أدبهم مع الله تعالى فعلينا الأخذ به والاقتداء بهم.

الكلمات الدَّالة (المفتاحية):

الأدب مع الله، الأنبياء، القرآن الكريم، القصص.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين، أحمده حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه، أنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى، هدانا لدينه، وأرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أعظم كتبه، فاللهم لك الحمد حمد الشاكرين، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى.

اللهم صلِّ وسلم على أفضل رسلك نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه أجمعين.

فلا شك أن الأدب مع الله تعالى باب من أبواب الفقه العظيمة التي يحتاجها المسلم في حياته في كل حين حتى يعرف كيف يتعامل مع ملك الملوك وجبار السماوات والأرضين، الذي وسع كل شيء علماً، وأحاط بكل شيء قدرة وملكاً، فليس لأحد مفر من قبضته، ولا مهرب من قدرته، ولا لأحد خروج عن ملكه وقهره، ولقد حرص السلف رحمهم الله على إتقان هذا العلم وتفهمه، والعناية به وتعليمه للناس خاصة طلبة العلم منهم.

قال أبو علي الدقاق: "العبد يصل بطاعة الله إلى الجنة، ويصل بأدبه في طاعته إلى الله"[1].

وقال ابن عطاء: "الأدب الوقوف مع المستحسنات، فقيل له: وما معناه؟ فقال: أن تعامله سبحانه بالأدب سراً وعلناً"، ثم أنشد:

إذا نطقت جاءت بكل ملاحة ... وإن سكتت جاءت بكل مليح

وقال أبو علي: " من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل ".

(١) مدارج السالكين، (٢/ ٣٥٦).

وقال يحيى بن معاذ: " إذا ترك العارف أدبه مع معروفه، فقد هلك مع الهالكين ".وقال يحيى بن معاذ: " من تأدب بأدب الله صار من أهل محبة الله "[1].

وأختم بكلام جميل لابن القيم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – قال فيه: الأدب مع الله ثلاثة أنواع:

أحدها: صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة.

الثاني: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره.

الثالث: صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه[2].

وهذا يسوقنا إلى الرغبة في معرفة ضابط الأدب مع الله تعالى، فليس كل من ادعى المحبة كان صادقاً، وليس كل من تكلم عن الأدب مع الله كان على الهدي السوي والطريق المستقيم، فهناك من أتى بأمور ليست من هدي الأنبياء والمرسلين ولا عباد الله الصالحين[3].

ولذا كان هذا البحث الذي إنما أردته لنفسي أولاً ثم لمن أراد أن يشاركني في مخرجاته من إخوتي الكرام.

وهو يتكلم عن أدب الأنبياء والمرسلين مع ربهم سبحانه وتعالى على ما جاء في كتاب الله تعالى، بعيداً عن الزيغ والكذب والأباطيل.

(١) كل ما تقدم من كلام السلف ينظر فيه إلى **مدارج السالكين**، لابن القيم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ –، (٢/ ٣٥٨ – ٣٥٩).

(٢) المصدر السابق، (٢/ ٣٥٦).

(٣) مثاله: ما يرد عن بعض المتصوفة من النياحة والعويل والصعق والهيام وغير ذلك مما لم يألفه السلف رحمهم الله ولم ينقلوه عن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أهمية البحث:

١. تعلق البحث بالقرآن الكريم ويكفي بذلك أهمية وفضلاً.

٢. فقه الأدب مع الله علم يحتاجه كل مسلم كما مر معنا من كلام السلف رحمهم الله تعالى.

٣. الأدب مع الله كغيره من علوم الشريعة التي يحتاج فيها المسلم للاتباع ويحذر فيها من الابتداع، ولاشك أن قدوتنا في ذلك هم أنبياء الله تعالى في هذا الباب.

أسباب اختيار الموضوع:

١. لأهميته كما ذكر تفصيله سابقاً.

٢. المشاركة بجهد لخدمة كتاب الله تعالى.

٣. حياة المسلم كلها لله تعالى كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢]، فنحن بحاجة لمعرفة هذا النوع من الفقه لنحسن التعامل مع ربنا جل في علاه.

الدراسات السابقة.

لم أجد دراسات سابقة تبحث في هذا الموضوع على وجه الخصوص إلا ما كان من بعض الدراسات التي ألمحت دون تفصيل مثل:

١. بحث في مجلة رسالة العلم بعنوان **أدب الأنبياء من القرآن الكريم** للشيخ مجيد عبد الرسول وقد اطلعت عليه وهو يذكر أدب الأنبياء بشكل عام وإنما كان بحثي مخصصاً بأدبهم مع ربهم سبحانه وتعالى.

٢. **أدب الخطاب عند الأنبياء عليهم السلام** - موسى أنموذجاً - للباحث عوده عبد

عـوده عبـد الله (رسـالة علميـة) والبحـث كـما هـو واضـح يتحـدث عـن موسـى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

طريقتي في كتابة البحث:

١. سـأذكر مـا أشـار الله إليـه في كتابـه مـن أدب الأنبيـاء عليهـم السـلام علـماً أني اخـترت نـماذج مـن تلـك المواقـف مـع الـدروس المسـتفادة منهـا.

٢. أذكر الآية التي أستنتج منها أدباً لذلك النبي، ثم أُبيِّن الأدب الرباني فيها.

٣. ترتيب الأنبياء حسب الأقدمية إلا ما كان من نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإني جعلته أولاً.

٤. أنقـل تفسـير الآيـات مـن التفاسـير المعتمـدة، ولا يشـترط أن أذكـر بقيـة التفاسـير إلا مـا كان ضروريـاً للتنبيـه وذلـك زيـادة في الاختصـار.

منهجي في كتابة البحث:

١. ألتزم كتابة الآيات في البحث بالرسم العثماني.

٢. أعـزو مـا يـرد مـن الأحاديـث النبويـة إلى كتـب الحديـث، وأبـين درجـة صحتـه، فـإن كان في الصحيحـين أو أحدهمـا فـإني أكتفـي بعـزوه إليهـما، وإن كان في غيرهمـا أعـزوه وأبـين درجتـه صحـة وضعفاً.

٣. لا أتطـرق لمـا يـرد في الآيـة مـن اختـلاف بـين العلـماء أو مـا يـرد مـن الأوجـه البلاغيـة أو الإعرابية.

٤. اخـترت أن أشـير إلى المراجـع في الحاشـية مبينـاً رقـم الصفحـة والجـزء وهـو مـن أكثـر مـا يعمـل بـه عنـد الباحثـين، ومـا تبقـى مـن معلومـات عـن المرجـع فـإني سـأذكره في الفهـرس المخصـص لذلـك في آخـر البحـث زيـادة في الاختصـار ومنعـاً للتكـرار.

خطة البحث:

وفيها مقدمة وثلاثة عشر مبحثًا وفهارس، المقدمة وفيها (أهمية البحث - أسباب اختياري للموضوع - الدراسات السابقة - ثم الطريقة والمنهج في كتابة البحث).

المبحث الأول: تعريف الأدب باعتبار لفظه، وباعتباره مركباً إضافياً.

المبحث الثاني: أدب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الله، وثناء الله عليه في القرآن.

المبحث الثالث: أدب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ربه في آيات من القرآن، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدبه مع ربه عند قوله تعالى:

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤].

المطلب الثاني: أدب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ربه عند قوله تعالى:

﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ [البقرة:١٤٤].

المبحث الرابع: أدب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ربه عند قوله تعالى:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤]

المبحث الخامس: أدب نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ربه عند قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ [هود:٤٧].

المبحث السادس: أدب الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ربه وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أدب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

المطلب الثاني: أدب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾ [الشعراء:٧٨ - ٨١].

المطلب الثالث: في أدب إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه عند قوله تعالى:

﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٩].

المبحث السابع: أدب كليم الله موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدب موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه عند قوله تعالى:

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَىَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ [القصص:٢٤].

المطلب الثاني: أدب موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه عند قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

المبحث الثامن: أدب عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أدب عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [المائدة:١١٤].

المطلب الثاني: أدب عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِى بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِى وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِى نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦].

المطلب الثالث: أدب عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨].

المبحث التاسع: أدب أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه عند قوله تعالى:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٣].

المبحث العاشر: أدب يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه عند قوله تعالى:

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٧ - ٨٨].

المبحث الحادي عشر: أدب زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٩].

المبحث الثاني عشر: أدب داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴾ [ص:٢٤].

المبحث الثالث عشر: أدب سليمان عند قوله تعالى:

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ص:٣١ - ٣٣].

ثم **الخاتمة** وتشتمل على أهم الفوائد ثم **فهرس المصادر والمراجع**.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المبحث الأول

تعريف الأدب مع الله باعتبار لفظه وباعتباره مركباً إضافياً

الأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس؛ سمي أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح[1].

وقال في الصحاح: "الأَدَبُ: أدَب النَّفْس والدَّرْسِ، تقول منه: أَدُبَ الرجُلُ بالضم فهو أَديبٌ، وأَدَّبْتُهُ فَتأَدَّبَ، وابن فلان قد استأدَبَ، في معنى تأدب"[2].

وأما الله فهو سبحانه الغني عن التعريف سبحانه، وأنى لمخلوق أن يعرف بخالقه فهو المألوه سبحانه وتعالى الذي تألهه المخلوقات جميعاً وتحبه وتتعلق به وترجوه، ولا غنى لهم عنه طرفة عين.

وهذه اللفظة تشير إلى الذات الإلهية الجامعة لجميع صفات الكمال، والمنزهة عن أي صفة من صفات النقصان التي لا تليق بكمال الألوهية والربوبية وهو أعظم أسماء الله الحسنى وأجمعها وأشهرها وأبرها حتى إن الأسماء كلها تضاف إليه وتعرَّف به قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:١ - ٣].

وأما تعريف الأدب مع الله فقد تفاوت العلماء في ضابطه فمنهم من عرفه بأنه:

القيام بدينه، والتأدب بآدابه ظاهراً وباطناً[3].

وقال بعضهم[4]:"الأدب مع الله حسن الصحبة معه، وبإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم والإجلال والحياء، كحال مجالس الملوك ومصاحبهم".

قلت: والأدب مع الله هو لزوم الطريق الأمثل مع الله تعالى بما حث عليه سبحانه وتعالى وأمر به على ما جاء في كتابه وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) لسان العرب، (١/ ٢٠٦).
(٢) الصحاح تاج اللغة، (١/ ٨٦).
(٣) مدارج السالكين ، (٢/ ٣٦٥).
(٤) من كلام الجنيد ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ مدارج السالكين، (٢/ ٣٥٧).

المبحث الثاني

أدب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الله وثناء الله عليه في القرآن

عندما يتكلم الإنسان عن الأدب وحسن الخلق سواء كان ذلك مع الله تعالى أم مع خلقه فلا شك أن سيد المضمار وأسبقهم فيه هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين الذي قال الله فيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

قال الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ -: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به، وهو الإسلام وشرائعه" (١).

وقال الحسن: "هو آداب القرآن(٢)، وعندما سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن خُلُقِ رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت:« **كَانَ خُلُقُهُ القُرْآن**»" (٣).

ولسنا في صدد الحديث عن أدبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الخلق، وإلا لتاهت العقول في ذلك ولهامت النفوس مما تسمع وتقرأ وحق لها أليس خلقه القرآن؟ أليس هو صاحب البسمة الجميلة، واللمسة الحانية، والعاطفة المرهفة؟

لذا أحبه الكبار والصغار، والرجال والنساء، ويكفي في ذلك قول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « **لما كان اليوم الذي دخل فيه رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة أَضَاءَ مِنَ المَدِيْنَةِ كُل شَيءٍ، فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أظلم من المدينة كل شيء، وما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا**»(٤).

---

(١) تفسير الطبري، (٢٣/ ٥٢٨).

(٢) انظر: تفسير البغوي، (٥/ ١٣٠).

(٣) رواه أحمد، (٤١/ ١٤٩)؛ والبيهقي في الشعب، (٣/ ٢٣)؛ والبغوي في شرح السنة، (١٣/ ٧٦)؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع، (٢/ ٨٧٢).

(٤) رواه أحمد (٣٥/ ٢١)، برقم (٣٣١٢)؛ وصححه الألباني في المشكاة (١٦٨١ / ٣).

ولكن الحديث عن أدبه مع ربه سبحانه وتعالى مما ورد في القرآن الكريم ففي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والمغيرة بن شعبة: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»[1].

وهنا نكتة جميلة وهي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسر الشكر بالعمل ونجد ذلك في قوله تعالى أيضاً: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ولا شك أن الشكر يكون بالعمل واللسان والقلب ، اعترافاً وقولاً وعملاً.

والعمل إنما هو نتيجة وخلاصة الإقرار بالقلب، فلا يمكن أن يتبلور الشكر في العمل إلا بعد أن يعترف القلب ويشهد لخالقه بالحمد.

قال أبو طالب المكي:" وقد قال بعض العلماء: شكر القلب المعرفة بأن النعم من المنعم لا غير وشكر العمل كلما وهب الله عزّ وجلّ لك عملاً أحدثت له عملاً ثانياً شكراً منك للعمل الأوّل، وعلى هذا يتصل الشكر بدوام المعاملة، وأوّل الشكر عند العارفين أن لا تعصيه بنعمة من نعمه فتجعلها في طاعة الهوى"[2].

(١) صحيح البخاري (٥٠/ ٢)؛ و مسلم (٢١٧٢ / ٤).
(٢) قوت القلوب (٣٤٥/ ١).

المبحث الثالث

أدب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ربه في آيات من القرآن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ربه عند قوله تعالى:

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤].

من أدبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ربه عندما نزلت هذه الآية وأتاه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خائفين وجلين قد جثوا على الركب، قالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم، ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها:**

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦].

قال الله بعدها قد فعلت»[(١)]

(١) رواه مسلم، (١/ ١١٥)؛ وانظر: تفسير الطبري، (٤/ ١٠٦)؛ وزاد المسير، (١/ ٢٠٥)؛ وابن كثير، (١/ ٧٢٩).

ولـك أن تتخيـل كـمال الأدب مـع الله في سرعـة الامتثـال والتنفيـذ، فـلا تـردد ولا تأخـر، ولـذا كان النجـاح والفـرج مـن الله عـز وجـل فهـو الرحيـم الكريـم.

فـما أحوجنـا لأن نفعـل كـما فعـل رسـول الله، وأن نقتـدي بـه في أدبـه مـع ربـه وسرعـة امتثالـه دون أي تأفـف أو تضجـر، ولاشـك أن ذلـك لا يكـون إلا وقـد تغلـب حسـن الظـن بـالله تعـالى عـلى قلـب المؤمـن فـلا يظـن بربـه إلا خـيراً.

ويعلم أن الامتثال هو أصل عقيدة المؤمن قال سبحانه وعز شأنه:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحـزاب:٣٦].

وهـذه الآيـة وإن كانـت قـد نزلـت في زينـب بنـت جحـش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا [1] إلا أنهـا عامـة في كل مـا يختـاره الله لعبـده المؤمـن.

وإذا استشـعر المؤمـن ذلـك وسـلم أمـره لخالقـه ومدبـره، فـلا شـك أن مـرده إلى خـير وإلى رشـد وإلى فـلاح، مـع يقينـه الكامـل أن الله لا يظلـم أحـداً مـن خلقـه.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلـت:٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونـس :٤٤].

ثم هو يعلم خطورة مراجعة الله في حكمه أو التضجر من ذلك قال الله:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النسـاء :٦٥].

(١) تفسير ابن كثير، (٦/ ٤٢١)؛ والبغوي (٣/ ٦٤٠)؛ والبيضاوي، (٤/ ٢٣٢).

المطلب الثاني: أدبه مع ربه عند قوله تعالى:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة :١٤٤].

مما يدل في هذه الآية على أدب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ربه «**أنه لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود، أمره الله عز وجل أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود بذلك، فاستقبلها رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بضعة عشر شهراً امتثالاً لأمر الله تعالى، رغم أنه كان** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يحب قِبْلَةَ إبراهيم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **فكان يدعو وينظر إلى السماء، فأنزل الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ **إلى قوله:** ﴿ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة :١٤٤].

فارتاب من ذلك اليهود، وقالوا: ﴿ ۞ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ [البقرة :١٤٢].

فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾ [البقرة :١٤٢].

وقال: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة :١١٥]»[(١)].

ويُلحظ أدب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع ربه في كتمانه رغبته وما في نفسه، مع علمه أن الله مطلع على ما في صدره.

قال الطبري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: "وإنما قيل له ذلك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فيما بلغنا- لأنه كان قبل تحويل قبلته من بيت المقدس إلى الكعبة يرفع بصره إلى السماء ينتظر من الله جل ثناؤه أمره بالتحويل نحو الكعبة" [(٢)].

(١) أخرجه **البخاري**، (١/ ٨٨)؛ و**مسلم**، (١/ ٣٧٥).
(٢) تفسير **الطبري**، (٣/ ١٧٢).

فكان صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقلب ناظريه ناحية البيت العتيق ويرجو من الله تعالى أن يوجهه إليه فأنزل الله: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة :١٤٤].

وإنما كان هذا الفعل منه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأنه يعلم علم اليقين أنما يختاره الله له ولأمته هو الأفضل وهو الأكمل.

المبحث الرابع

أدب آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه سبحانه

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف :٢٣].

أراد الله تعالى أن يخلق خلقاً يعمرون الأرض بعبادة الله تعالى ويخلف بعضهم بعضاً، وقال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة :٣٠].

﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة :٣٠].

ليس اعتراضاً على أمر الله، ولكن إعظاماً أن يصدر هذا عن أحد من خلق الله.

فأجاب سبحانه، وقوله الباقي وحكمه النافذ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :٣٠].

فَخلَقَ آدمَ، وأمر الملائكةَ أن تسجد له، وكان أمره سبحانه للملائكة ولمن كان حاضراً معهم وهو إبليس: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر:٣٠ - ٣١].

فسأله الله عن سبب امتناعه والله يعلم ما في قلبه من الكبر:

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر:٣٢]،﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[الحجر:٣٣].

وهل أحدٌ يستطيع أو يجرؤ أن يعارض الله في حكمه أو يرد أمره؟

ولكنها الحكمة الإلهية، والقضاء الكوني الرباني:

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الحجر:٣٤ - ٣٥].

فطلب إبليس من الله أن يمهله إلى يوم القيامة حتى ينتقم من آدم وذريته، الذي بسببه أخرج من رحمة الله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الحجر:٣٣].

وأقسم أن يفعل كل ما يستطيع لإغواء آدم وذريته:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:٨٢].

وأن يسلك جميع الطرق في إهلاكهم والنيل منهم:

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:٨٢].

ثم إن الله أكرم آدم وأدخله الجنة، وجعل له أن يفعل كل شيء، ويأكل ما يريد، ويتمتع بما يشاء في الجنة، وخلق له من ضلعه حواء ليسكن إليها:

﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ [البقرة:٣٥].

إلا أن الله حرم عليه شيئاً واحداً فقط لحكمة أرادها سبحانه:

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:٣٥].

وحذر الله آدم وزوجه من طاعة إبليس اللعين، فإنه سبب كل شقاء وبلاء:

﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه:١١٧].

ووسوس إبليس إلى آدم بأن الأكل من هذه الشجرة سبب في نيل الخلود في الجنة: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ [الأعراف:٢٠].

بل وأقسم لهما اللعين على ذلك:

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[الأعراف:٢١].

وأبى حرص آدم إلا أن يأكل من هذه الشجرة:

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[طه:١٢١].

وهنا غضب الله تعالى، لأن آدم خالف أمره وعصاه، والجنة ليس فيها معصية ولا مخالفة لأمر الله تعالى:

﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ الشَّيْطَنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف:٢٢].

ثم يدرك آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ كبير جرمه، وعظيم ما اقترف.

فتأدب عند ذلك بأدب العبيد، ولجأ إلى سلاح الأنبياء والصالحين، وهو الإخبات والتذلل والخضوع: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف:٢٢]، اعتراف بالذنب والخطأ.

ثم طلبٌ للعفو من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣].

يالـه من أدب عظيم استعمله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الله الكريم، ولا يكون ذلك إلا بتوفيق من الله التواب الرحيم، ولذا قال سبحانه:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:٣٧].

وهذه الكلمات هي: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣].

قال الطبري - رَحِمَهُ اللَّهُ -:" والذي يدل عليه كتاب الله، أن الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه، هن الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصلاً بقيلها إلى ربه، معترفاً بذنبه، وهو قوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾"(١).

وقال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ -:" هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴾ روي هذا عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، والربيع بن أنس، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وخالد بن معدان، وعطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم رحمهم الله جميعاً "(٢).

(١) تفسير الطبري، (١/ ٥٤٦)؛ والبيضاوي، (١/ ٧٣).
(٢) تفسير ابن كثير، (١/ ٢٣٨).

المبحث الخامس

أدب نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه سبحانه

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ [هود:٢٥ - ٢٦].

أخذ يدعوا قومه إلى عبادة الله وعدم الإشراك به ألف سنة إلا خمسين عاماً، فما آمن معه من قومه إلا قليل.

ثم إن الله تعالى أمره أن يصنع سفينة على الأرض التي هو عليها، ولم يكن ثمة بحر أو نهرٍ قريب منه: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود:٣٧].

فكانت هذه فرصة سانحة لقومه بأن يتهموه بالجنون ويسخروا منه:

﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [هود:٣٨ - ٣٩].

ولما بدأ موعود الله تعالى بالاقتراب، أمر الله السماء أن تمطر وأمر الأرض أن تتفجر مياه جارية، فأمر نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من آمن من قومه أن يركبوا في السفينة، فركبوا جميعاً إلا ابنه، فأدركت نبي الله عاطفة البنوة فناداه رجاء أن يشمله الله: ﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [هود:٤٢].

ولكن كان رد الابن الذي لم يؤمن بالله تعالى: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ ﴾ [هود:٤٢].

فدعا نوح ربه وأتى بمقدمة لعل الله أن يعذره في رجاءه، ولكن الأمر الملفت للانتباه هو أدب هذا النبي الكريم عندما دعا ربه في ابنه فلم يقل يا رب نجه، أو يا رب أنا نبي من أنبيائك، دعوت قومي ألف سنة إلا خمسين عاما، وإنما أتى بمقدمة حوت أدباً عظيماً مع الله تعالى، وذلاً وانكساراً بالغاً: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود:٤٥].

ثم استسلم لأمر الله تعالى وأن الله له الحكمة البالغة وأن التصرف له وكل شيء تحت حكمه وقهره: ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [هود:٤٥].

فأتى الرد من الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود:٤٦].

لأنه كافر وأنت مؤمن، لأنه جاحد وأنت معترف، فعندها رجع نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مباشرة وضرب بمحبة ابنه عرض الحائط خشية أن تزاحم محبة الله تعالى في قلبه واستعاذ بالله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾ [هود:٤٧].

ثم أتبع ذلك بالاستغفار والتذلل لله: ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٧].

قال أبو جعفر الطبري- رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:" أي: أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لي به علم، مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لي زلتي في مسألتي إياك ما سألتك في ابني، وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني فتنقذني من غضبك ﴿أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ "[1].

(١) تفسير الطبري، (١٥/ ٣٥٢).

المبحث السادس

أدب الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه سبحانه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أدبه عند قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[البقرة:١٢٧].

إبراهيم هو خليل الله وصفيه وأحد أولي العزم من الرسل، عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم التسليم، وله مواقف كثيرة مع ربه يتجلى فيها أدب العبد مع ربه ومولاه، ومن تلك المواقف التي ذكرها الله في كتابه حينما أمره الله تعالى ببناء البيت العتيق والكعبة المشرفة، فامتثل أمر الله تعالى واستعان بابنه وفلذة كبده إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فأخذا يَنْضُمان قواعده، ويرصان أساسه، ويدعوان ربهما في إنابة وتضرع وخشوع ليس له مثيل، ويطلبان من الله أن يتقبل هذا العمل منهما مع أنهما يمتثلان أمر الله تعالى في بناءه ولكنه الأدب والخضوع والاستسلام.

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٧].

ثم لم يكتف بهذا بل أخذ يتوسل بهذا العمل الصالح بدعوات ليست لأمور دنيا أو حطام زائل، بل منها ما يقربه إلى الله تعالى، ومنها ما خص به ذريته من بعده، ومنها ما نالت بركته هذه الأمة المحمدية ولا زلنا نتفيء ظلال تلك الدعوات المباركات.

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨ - ١٢٩].

استعمل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سلاح الأنبياء والمرسلين، وسلاح عباد الله الصالحين، إنه الخضوع والخشوع والاستسلام، والتذلل والإخبات، هذا السلاح الذي ما استعمله عبد مع الله إلا أفلح ونجا.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

ولذا استحب للمؤمن أن يتوسل بصالح عمله كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في حديث الثلاثة نفر الذين انطبقت عليهم الصخرة وفيها أنهم توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فاستجاب الله لهم(١).

قال ابن كثير(٢) - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وهو يبين حال ذلك النبي الكريم عندما ترك هاجر وابنها في تلك القفار الخالية " ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل، عليهما السلام، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذا لا يضيعنا، ثم رجعت فانطلق إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الدعوات، ورفع يديه، قال:﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧] ".

(١) أخرجه البخاري (٣ / ٨)؛ ومسلم (٢٠٩٩ / ٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٤٢٧ / ١).

المطلب الثاني: أدبه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء:٧٨ - ٨١].

كان ذلك عندما أخذ يحاج قومه ويثبت لهم توحيد الألوهية من خلال توحيد الربوبية وأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الأولوهية قال الله حكاية عن خليله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء:٧٢- ٨١].

وفي كل ذلك نجد أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يضيف النعم إلى مسديها وهو الله تعالى، فلما وصل إلى المرض أسنده إلى نفسه أدباً مع خالقه سبحانه وتعالى فقال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء:٨٠]، ثم أرجع الفعل إلى الله تعالى بعده فقال: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾[الشعراء:٨١] .

ولاشك أن هذا من كمال الأدب مع الله تعالى مع أن المرض والصحة والعافية هما من الله وحده.

قال القشيري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:" لم يقل: وإذا أمرضنى لأنه حفظ أدب الخطاب" (١).

وقال البغوي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:" ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾ ، أضاف المرض إلى نفسه، وإن كان المرض والشفاء كله من الله، استعمالاً لحسن الأدب " (٢).

ولكن قد يرد سؤال وهو أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أضاف الموت لله في قوله: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء:٨١] .

(١) لطائف الإشارات، (٣/ ١٣).
(٢) تفسير البغوي، (٣/ ٤٧٠).

وقد أجاب عن ذلك أئمة التفسير من حيث أن الموت لا يُحس به ولا ضرر فيه، وإنما الضرر في مقدماته وهي المرض، ثم إنه لأهل الكمال وصلةٌ إلى نيل المحاب التي تستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاصٌ من أنواع المحن والبليات" (١).

والعجب كل العجب في حيائهم من ربهم وكمال أدبهم مع خالقهم سبحانه وتعالى، فإنهم يختارون أدق الألفاظ وأطيبها، وأجملها وأحسنها، فكيف بالأفعال إذاً هذا وهم صفوة خلقه وأكرم رسله.

قال ابن كثير – رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: " وقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء:٨٠]، أسند المرض إلى نفسه، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدباً، كما قال تعالى آمراً للمصلي أن يقول: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة :٦- ٧].

فأسند الإنعام إلى الله، سبحانه وتعالى، والغضب حذف فاعله أدباً، وأسند الضلال إلى العبيد، كما قالت الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[الجن : ١٠] .

ولهذا قال إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء:٨٠] أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يُقَدِّر من الأسباب الموصلة إليه" (٢).

المطلب الثالث: في أدب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه عند قوله تعالى:

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٩] .

إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يجادل قومه فيما يعبدون من دون الله تعالى، ولما كانت الحجة والغلبة له عليهم أمر النمرود بأن يلقى إبراهيم في النار انتقاماً ونكالاً، فأمر جنوده أن يجمعوا حطباً كثيراً ويوقدوا ناراً عظيمة ففعلوا، ثم قذفوا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيها وفي أثناء قذفه عرض له

(١) انظر: تفسير البيضاوي، (٤/ ١٤١)؛ والرازي، (٢٤/ ٥١٢).
(٢) تفسير ابن كثير، (٦/ ١٤٦).

جبريل فقال: يا إبراهيم هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وأما إلى الله فنعم، فقال الله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

قال ابن عباس، وأبو العالية: "لولا أن الله عز وجل قال: ﴿وَسَلَامًا﴾ [الأنبياء:٦٩]. لآذى إبراهيم بردها "[١].

والملاحظ هنا أدبه عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ربه عز وجل، حتى وهو في هذه الساعة العصيبة واللحظة الحاسمة يأبى أن يتعلق بغير خالقه أو أن ينظر إلى غير مولاه.

قال بشر بن الحارث: "لما رفع إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليلقى في النار عرض له جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا إبراهيم، هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا "[٢].

والقصة مشهورة ومعروفة، قال ابن تيمية تعليقاً " فهذا وما يشبهه مما يبين أن العبد في طلب ما ينفعه ودفع ما يضره لا يوجه قلبه إلا إلى الله؛ فلهذا قال المكروب: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ﴾ [الأنبياء:٨٧].

ومثل هذا ما في الصحيحين عن ابن عباس أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول[٣]: «**عِنْدَ الْكَرْبِ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيم لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم**»[٤].

وهذا يذكرنا بحديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**أَمَرَنِي خَلِيلِي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِسَبْعٍ: وَذَكَرَ مِنْهَا: وَأَمَرَنِي أَنْ لا أَسْأَلَ أَحَدًا شَيْئاً**»[٥].

---

(١) **تفسير ابن كثير**، (٥/ ٣٥٢).

(٢) **شعب الإيمان**، (٢/ ٣٥٢)، و**حلية الأولياء**، (١/ ٢٠)؛ و**نوادر الأصول**، (١/ ٦٤)؛ وفيه انقطاع من غير أنه موقوف ولم يرفع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) **صحيح البخاري**، (٩/ ١٢٦)؛ و**مسلم**، (٤/ ٢٠٩٢).

(٤) **مجموع الفتاوى**، (١٠/ ٢٥٩).

(٥) أخرجه **الإمام أحمد**، (٥/ ١٥٩)؛ والسياق له وابن حبان في **صحيحه**، (٢٠٤١)؛ وقال الألباني: إسناد صحيح، ورجاله كلهم ثقات، انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، (٥/ ٢٠٠).

وهذا والله رأس التوكل على الله، قال أبو يعقوب النهرجوري[١]" التوكل على الله تعالى بكمال الحقيقة ما وقع لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الوقت الذي قال لجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أما إليك فلا، لأنه غابت نفسه بالله تعالى فلم ير مع الله غير الله عز وجل" [٢].

وهنا **مسألة: هل العمل بالأسباب يُنافي التوكل؟**

فنقول: العمل بالأسباب أمرٌ مشروع بل هو مطلوب، وهذا لا ينافي التوكل بل هو من التوكل، وأما حقيقة التوكل لمن قوية نفسه وزاد يقينه وأراد أن يباشر حقيقة ألأمر دون الاعتماد على أحد من الخلق فإن هذا سائغ.

وقد أخذ به الإمام أحمد، وروي نحو ذلك عن عمر وابنه عبد الله وسلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ونظير ذلك ما روي عن خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من أكل السم.

ومثله مشى سعد بن أبي وقاص وأبي مسلم الخولاني بالجيوش على متن البحر، ومثله أمر عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لتميم حيث خرجت النار من الحرة أن يردها فدخل إليها في الغار التي خرجت منه فهذا كله لا يصلح إلا لخواص من الناس قوي إيمانهم بالله وقضائه وقدره وتوكلهم عليه وثقتهم به.

ونظير ذلك دخول المغاور بغير زاد لمن قوي يقينه وتوكله.

وقد نص عليه أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وكذلك ترك التكسب والتطبب كل ذلك يجوز عند أحمد لمن قوي توكله، فإن التوكل أعظم الأسباب التي تستجلب بها المنافع وتدفع بها المضار كما قال الفضيل: " لو علم الله إخراج المخلوقين من قلبك وتستدفع

(١) هو أبو يعقوب إسحاق بن محمد أقام بالحرم سنين كثيرة مجاوراً وبه مات سنة ٣٣٠هـ، **سير أعلام النبلاء**،(١١/ ٤٦٥).
(٢) **الرسالة القشيرية**، (١/ ٣٠١).

لأعطاك كل ما تريد" وبذلك فسَّر الإمام أحمد التوكل فقال: "هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين قيل له: فما الحجة فيه؟ قال: قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار فعرض له جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا " [1].

فلا يشرع ترك الأسباب الظاهرة إلا لمن تعوض عنها بالسبب الباطن وهو تحقيق التوكل عليه فإنه أقوى من الأسباب الظاهرة لأهله وأنفع منها.



(١) **لطائف المعارف**، لابن رجب، (١/ ٧٠).

المبحث السابع

أدب كليم الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه سبحانه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدبه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص:٢٤].

موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كليم الله وأحد أولي العزم من الرسل وقد آتاه الله قوة ليست في كثير من البشر قال الله: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٤].

ولاشك أن أعظم صفة يتصف بها أحباب الله وعباده المقربون هي التواضع والانكسار لربهم، ومن عظيم صفاتهم أنهم يُسخِّرون ما آتاهم الله من قوة وعافية في خدمة عباد الله تعالى.

يأتي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى ماء مدين بعد أن فرَّ هارباً من فرعون وملئه، وكله ثقة بربه وحسن ظن بالله تعالى أن يهديه سواء السبيل.

فيجد الناس يتزاحمون على حياض الماء، فالقوي هو الذي ينزح الدلو من البئر، فيسقي ويغترف الباقون من فضل ماءه، وهذا ما لا يستطيعه إلا جماعة من الرجال الأقوياء، ووجد من دون هؤلاء الناس امرأتين تذودان غنمهما حياء من أن يختلطا بالرجال، فلما رآهما موسى رقَّ لهما ورحمهما فقال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ [القصص:٢٣].

فسقى لهما، فجعل يغترف في الدلو ماء كثيراً، حتى كان أول الرعاء، فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما، وانصرف موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فاستظل بشجرة، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

والمعنى إني لأي شيء أنزلت إلي من خير قليل أو كثير غث أو سمين لفقير، يعني لمحتاج.

وهذا فيه كمال أدب مع الله تعالى حيث أنه لم يسأل وإنما عرض تعريضاً وقد بلغ به الجهد والتعب والجوع مبلغاً عظيماً.

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: "وكان قد بلغ به الجوع واخضر لونه من أكل البقل وضعف حتى لصق بطنه بظهره، ورئيت خضرة البقل في بطنه وإنه لأكرم الخلق يومئذ على الله"(١).

وقال الضحاك - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:" مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاماً إلا بقل الأرض "(٢).

وقال سعيد بن جبير- رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: " لقد قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤]، وهو أكرم خلقه عليه "(٣).

السعدي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في تفسيره " أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي، وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعياً ربه متملقا "(٤).

وقال - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - من فوائد قول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

" استحباب الدعاء بتبيين الحال وشرحها، ولو كان الله عالماً لها، لأنه تعالى، يحب تضرع عبده وإظهار ذله ومسكنته"(٥).

(١) تفسير البغوي، (٤/ ٢٨٤).
(٢) تفسير الرازي، (٢٤/ ٥٨٩).
(٣) تفسير البغوي، (٦/ ٢٠١).
(٤) تفسير السعدي، (١/ ٦١٤).
(٥) تفسير السعدي، (١/ ٦١٨).

وربما يتساءل البعض كيف أنَّ موسى بلغ به هذا الحال وقد استطاع أن يرفع الصخرة من على البئر ولا يطيق ذلك إلا الجماعة من الناس؟.

فيجاب عن ذلك بعدة أجوبة:

أولها: أن موسى قال ذلك في نفسه من باب التواضع واستصغار النفس أمام ربه عز وجل.

ثانياً: أنه عنى بذلك الدين أي: إني بسبب ما أنزلت إلي من خير الدين صرت فقيراً في الدنيا لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة، فقال ذلك رضى بهذا البدل وفرحاً به وشكرًا له[1].

المطلب الثاني أدب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

لاشك ولا ريب أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كغيره من أنبياء الله تعالى الذين أحسنوا الأدب مع خالقهم وتخيروا من الألفاظ أنقاها وأطيبها، ومن العبارات أعذبها وأزكاها، ويلاحظ ذلك من خلال طلبه من ربه أن يتشرف بالنظر إليه عندما خلا بربه فاشتاق أن يجمع مع الكلام والمشافهة رؤية الحبيب حتى يُسعد الجارحتين كلاهما، فكيف للحبيب أن يصبر عن رؤية حبيبه وقد سمع لذيذ مناجاته.

قال سبحانه حكاية عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف:١٤٣].

(١) تفسير الرازي، (٢٤/ ٥٨٩).

قال الحسن - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: " هاج به الشوق فسأل الرؤية "[1].

ولأنه لا يمكن لأحد أن يرى الله في الدنيا ولا طاقة لأحد بذلك، لم يرد سبحانه أن يرد سؤاله رداً شديداً وإنما علقه بثبوت الجبل ومدى تحمله أن يرى الله، فإذا رأى موسى أن الجبل لم يتحمل ذلك وهو من الصخر والحجارة فلا شك أن قلوب البشر ليست مهيأة لهذا الأمر، ولن تتحمل، ولا طاقة لها به، قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ﴾ [الأعراف:١٤٣].

فكانت المعجزة الهائلة والصاعقة الكبرى أن تحطم الجبل وتكسر وانهار أمام عظمة الله تعالى وخر موسى مغشياً عليه من هول ما رأى من الجبل العظيم وكيف أنه تحطم أمام ربه فرقاً وخوفاً.

ومصير الجبل معلق ومفسر بالقراءتين الواردتين في الآية وكلاهما سبعي متواتر فمن قرأ (دكاء) بالمد وليس مقصوراً بالتنوين وهم حمزه والكسائي[2] فمعناه جعله مستويا أرضاً دكاء، ويقال للناقة التي لا سنام لها ناقة دكاء، فيكون الجبل قد انساخ في الأرض وذهب ولم يبقى منه شيء، وهذا ما رجحه الطبري فقال:" وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي، قراءة من قرأ: (جعله دكاء)، بالمد وترك الجر، لدلالة الخبر الذي رويناه عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على صحته، وذلك أنه روي عنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «فساخ الجبل» ولم يقل: «فتفتت» ولا «تحول ترابا»، ولا شك أنه إذا ساخ فذهب ظهر وجه الأرض فصار بمنزلة الناقة التي قد ذهب سنامها، وصارت دكاء بلا سنام، وأما إذا دك بعضه، فإنما يكسر بعضه بعضاً ويتفتت ولا يسوخ، وأما «الدكاء» فإنها خلف من «الأرض» فلذلك أنثت، على ما قد بينت "[3].

(١) تفسير البغوي، (٢/ ٢٢٨).
(٢) التيسير في القراءات السبع، (١/ ١٤٦).
(٣) تفسير الطبري، (١٣/ ١٠٢).

وعلى قراءة التنوين كما هو الجمهور دكاً فمعناه أي قطعاً وكسراً متناثره وهو الذي رجحه البيضاوي، ومال ابن كثير إلى قول الطبري[١].

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣]، قيل مغشياً عليه، وقيل ميتاً، والأول ما ذهب إليه الطبري[٢] وابن كثير[٣].

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وهنا يتجلى كمال الأدب مع الله حيث سارع بالتوبة والإنابة والرجوع، مبتدأ بالتنزيه ﴿سُبْحَانَكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، يعني من طلبي النظر إليك.

وهكذا ينبغي على كل عاقل أحس أنه أساء أو قصر أو غفل عن مولاه أن ينزه ويتوب، ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، يعني رجعت إلى الحق وأنبت.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مره**»[٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:« **والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مره**»[٥].

واللفته العجيبة من سرعة الاستدراك عند نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فما إن أحس أنه أغضب ربه بسؤاله الرؤيا حتى نزه الله وتاب إليه: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

وهكذا كان رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل حينه مع ربه سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي، (٣/ ٣٣)؛ والبغوي، (٢/ ٢٣٠)؛ وابن كثير، (٣/ ٤٦٩)؛ والبدور الزاهرة، (١/ ١٢٣).
(٢) تفسير الطبري، (١٣/ ٩٧).
(٣) تفسير ابن كثير، (٣/ ٤٧١).
(٤) صحيح مسلم، (٤/ ٢٠٧٥).
(٥) صحيح البخاري، (٨/ ٦٧).

المبحث الثامن

أدب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ربه سبحانه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أدبه عَلَيْهِ السَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤].

وإذا أردنا أن نعرف أدب نبي الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ربه سبحانه وتعالى في هذه الآية فلنرجع قليلاً إلى الآية قبلها ولننظر إلى أسلوب قومه معه ومع ربهم في الطلب قال سبحانه حكاية عنهم:

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:١١٢].

سبحان الله العظيم ما أضعف تلك العقول !! وما أحلم الله عليهم، حيث ربطوا ما يطلبون وما يريدون بمدى استطاعة الله على ذلك.

وقد ذكر بعض المفسرين أن الحواريين لم يكونوا يشكون في قدرة الله تعالى[1] وأتوا بتعليلات لا يبررها العقل السوي، ويرد هذا القول استعظام عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قولهم وإنكاره عليهم ما يقولون ﴿قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:١١٢].

وأيضاً في قولهم: ﴿وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٣].

ما يدل على وقوع الشك في قلوب بعض منهم والله أعلم[2].

(١) تفسير ابن عطية، (٢/ ٢٦٠)؛ والبيضاوي، (٢/ ١٥٠).
(٢) تفسير الطبري، (١١/ ٢٢٠).

وأما طلب عيسى من الله عندما ألحَّ عليه قومه فقد كان في غاية الأدب والحياء من الله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةٗ مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المائدة:١١٤].

دعاءٌ ثم تبرير، وأن ذلك ليس شكاً في قدرة الله تعالى، فيالها من تربية عجيبة وأدب كريم من نبي كريم.

وقد اختلف أهل التأويل في قوله: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدٗا﴾ [المائدة:١١٤].

فقيل أي: نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيداً نعظمه ونعبد الله فيه نحن ومن بعدنا، وبه قال سفيان وقتادة والسدي، وقيل: نأكل منها جميعاً، وقيل: عائدة من الله تعالى ذكره علينا، وحجة وبرهاناً ورجح ابن جرير الطبري الأول[1].

وقد ساق ابن كثير رواية عن كيفية تذلل عيسى لله سبحانه في دعائه له عن وهب بن منبه، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الخير؛ أنه قال: " لما سأل الحواريون عيسى ابن مريم المائدة، كره ذلك جداً وقال: اقنعوا بما رزقكم الله في الأرض، ولا تسألوا المائدة من السماء، فإنها إن نزلت عليكم كانت آية من ربكم، وإنما هلكت ثمود حين سألوا نبيهم آية، فابتلوا بها حتى كان بوارهم فيها، فأبوا إلا أن يأتيهم بها، فلذلك قالوا:

﴿نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة:١١٣].

فلما رأى عيسى أن قد أبوا إلا أن يدعو لهم بها، قام فألقى عنه الصوف، ولبس الشعر الأسود، وجبة من شعر، وعباءة من شعر، ثم توضأ واغتسل، ودخل مصلاه فصلى ما شاء الله، فلما قضى صلاته قام قائماً مستقبل القبلة وصف قدميه حتى استويا، فألصق الكعب بالكعب وحاذى الأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره، وغض بصره،

(١) تفسير الطبري، (١١/ ٢٢٦).

وطأطأ رأسه خشوعاً، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض حيال وجهه من خشوعه، فلما رأى ذلك دعا الله فقال:

﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة:١١٤].

فأنزل الله عليهم سفرة حمراء بين غمامتين: غمامة فوقها وغمامة تحتها، وهم ينظرون إليها في الهواء منقضة من فلك السماء تهوي إليهم، وعيسى يبكي خوفاً للشروط التي اتخذها الله عليهم فيها: أنه يعذب من يكفر بها منهم بعد نزولها عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين، وهو يدعو الله من مكانه ويقول: اللهم اجعلها رحمة، إلهي لا تجعلها عذاباً، إلهي كم من عجيبة سألتك فأعطيتني، إلهي اجعلنا لك شكارين، إلهي أعوذ بك أن تكون أنزلتها غضباً وجزاء، إلهي اجعلها سلامة وعافية، ولا تجعلها فتنة ومثلة.

فما زال يدعو حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى، والحواريين وأصحابه حوله، يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضى رائحة مثلها قط، وخر عيسى والحواريون لله سجداً شكراً بما رزقهم من حيث لم يحتسبوا وأراهم فيه آية عظيمة ذات عجب وعبرة "[1].

ما أعظم هؤلاء الأنبياء وما أعظم أدبهم مع الله، وصدق الله: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

المطلب الثاني: أدب عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦].

يجمع الله الأولين والآخرين ويقفون بين يديه سبحانه وتعالى:

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٠٩].

(١) تفسير ابن كثير، (٣/ ٢٢٨)؛ وقال غريب جداً؛ وقال القرطبي، (٦/ ٣٦٩)، ولا يصح من جهة الإسناد.

يجمعهم الله ثم يسأل الأمم عن أنبياءهم (هل بلغكم أنبيائي ورسلي ؟) ثم يسأل الرسل (ماذا أُجبتم؟) وكل ذلك في موقف القيامة.

ثم ينادي سبحانه على رؤوس الأشهاد،[1] ينادي عيسى:

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦].

فيسارع عيسى بالنفي مع التنزيه ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ [المائدة:١١٦]، أي: تنزيهاً لك عما لا يليق.

ثم يأتي بالمبرر ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦]، أي: ما ينبغي لي أن أقول قولاً لا يحق لي أن أقوله، ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة:١١٦]، إن كان صدر مني هذا فقد علمته يا رب، فإنه لا يخفى عليك شيء مما قلته ولا أردته في نفسي ولا أضمرته[2].

وهذا هو الأدب الذي اتخذه عيسى مع ربه سبحانه وتعالى أن بدأ بالتنزيه ثم أتى بالمبرر ثم أعقبه بالنفي:

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:١١٦].

قال ابن كثير – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – عند قوله تعالى : " ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦]، هذا توفيق للتأدب في الجواب الكامل، وعن أبي هريرة قال: يلقى عيسى حجته، ولقاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦] ؟ قال أبو هريرة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلقاه الله: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦]، أي آخر الآية.

وقد رواه الثوري، عن معمر، عن ابن طاوس، عن طاوس، بنحوه"[3].

---

(١) وهذا هو القول الراجح أن النداء في يوم القيامة وليس في الدنيا وهو الذي رجحه **ابن كثير** ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ (٣/ ٢٣٢)؛ خلافاً **للطبري**، (١١/ ٢٣٦).

(٢) **تفسير ابن كثير**، (٣/ ٢٣٣).

(٣) **تفسير ابن كثير**، (٣/ ٢٣٣).

وإنما سأله الله على رؤوس الأشهاد ليبرئ ساحته من ما فعله النصارى وما ابتدعوه من عقيدة التثليث: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣].

قال القشيري في تفسيره:" المراد من هذا السؤال إظهار براءة ساحته عما نسب إليه من الدعاء إلى القول بالتثليث، فهذا ليس خطاب تعنيف بل هو سؤال تشريف "[١].

ومن كمال الأدب مع الله الذي هو يعلم السر وأخفى أن عيسى لم ينفي عن نفسه فقط بل تعدى إلى ما هو أبلغ من النفي وزيادة عليه وهو ما يتجلى في قوله: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة:١١٦].

قال ابن القيم – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – في مدارج السالكين: " لم يقل: لم أقله، وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب، ثم أحال الأمر على علمه سبحانه بالحال وسره فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ ثم برأ نفسه عن علمه بغيب ربه وما يختص به سبحانه، فقال ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ ثم أثنى على ربه، ووصفه بتفرده بعلم الغيوب كلها، فقال ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ "[٢].

يالـه من أدب عظيم في السؤال وفي الطلب وفي النفي وفي الإثبات، ومن تأمل حال الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام وجدها محفوفة بالأدب والخلق الرفيع مع الله رب العالمين، اللهم ارزقنا الاقتداء بهم يا رب العالمين.

المطلب الثالث: أدب عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عند قوله تعالى:

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨].

حيث ألقى بالمشيئة والأمر إلى الله تعالى فإنه سبحانه هو المدبر وهو المالك فليس للملوك تصرف دون إذن مالكه.

(١) تفسير القشيري، (١/ ٤٥٢).
(٢) مدارج السالكين، (٢/ ٣٥٢).

قال ابن القيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في مدارج السالكين عند هذه الآية: " وهذا من أبلغ الأدب مع الله في مثل هذا المقام، أي: شأن السيد رحمة عبيده والإحسان إليهم، وهؤلاء عبيدك ليسوا عبيداً لغيرك، فإذا عذبتهم - مع كونهم عبيدك - فلولا أنهم عبيد سوء من أبخس العبيد، وأعتاهم على سيدهم، وأعصاهم له لم تعذبهم، لأن قربة العبودية تستدعي إحسان السيد إلى عبده ورحمته، فلماذا يعذب أرحم الراحمين، وأجود الأجودين، وأعظم المحسنين إحساناً عبيده؟ لولا فرط عتوهم، وإباؤهم عن طاعته، وكمال استحقاقهم للعذاب.

﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨].

وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة، بل مقام براءة منهم، فلو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم لأشعر باستعطافه ربه على أعدائه الذين قد اشتد غضبه عليهم، فالمقام مقام موافقة للرب في غضبه على من غضب الرب عليهم، فعدل عن ذكر الصفتين اللتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزة والحكمة، المتضمنتين لكمال القدرة وكمال العلم.

والمعنى: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم، ليست عن عجز عن الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم، وهذا لأن العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه، ولجهله بمقدار إساءته إليه، والكمال: هو مغفرة القادر العالم، وهو العزيز الحكيم، وكان ذكر هاتين الصفتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب " [(١)].

عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**صَلَّى رَسُولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَقَرَأَ بِآيَةٍ حتَّى أَصْبَحَ، يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا:** ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]، **فلما أصبح قُلْتُ: يا رسولَ الله، ما زِلْتَ تَقرأُ هَذِهِ الآيَةِ حَتَّى أَصْبَحتَ تَرْكَعُ بِهَا وتَسْجُد بها؟ قال: إني سَألتُ ربي، عز وجل، الشَّفَاعَةَ لأمَّتِي، فأَعْطَانِيْهَا، وهي نَائِلَةٌ إنْ شَاءَ الله لِمَنْ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئا**» [(٢)].

(١) مدارج السالكين، (٢/ ٣٥٩).
(٢) أخرجه أحمد، (٣٥/ ٣٠٩)؛ وصححه الألباني في المشكاة، (١/ ٣٧٨).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص: « **أن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **تلا قول الله تعالى في إبراهيم:** ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ ﴾ [إبراهيم:٣٦]، **وقال عيسى:** ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨]، **فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ (اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي) وبَكَى فقال الله تعالى: يا جِبْرِيل اذْهَبْ إلى محمَّد وَرَبُّك أعْلَمُ فَسَلْهُ ما يُبْكِيه؟ فأتاهُ جبريل فسَألَهُ فأخْبَرَهُ رسولُ الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بما قال، فقال الله لجبريل اذْهَبْ إلى محمد فقل: إنا سَنُرْضِيْكَ في أُمَّتِك ولا نَسُوؤك** »[1].

(١) أخرجه مسلم، (١/ ١٩١).

المبحث التاسع

أدب أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ربه سبحانه

ذلك النبي الذي ضُرب به المثل في الصبر والابتلاء حتى قيل وصبر كصبر أيوب كان في سَعَةٍ من العيش ثم ابتلاه الله بالمرض، وفقد الأبناء، ومع ذلك بقي صابراً محتسباً على ما ألمَّ به من الداء، وما اعتراه من الفقد والحرمان، ولم يتفوه بكلمة واحدة، وهو أفضل الخلق في زمانه، حتى أن الناس رحموه وأخذوا يتكلمون فيه وقالوا: لو كان أيوب كريماً على الله لما ابتلاه بما ابتلاه به[1].

فكان هذا الأمر على أيوب كالسيوف الجارحة، فإنه يتحمل كل شيء إلا أن ينقص عند الله، وتخيل رغم هذا البلاء وشدته وقد قيل إنه مكث في البلاء ثمانية عشر عاماً ومع ذلك لم يتفوه بكلمةٍ واحدة، ولم يقل يا رب أنا نبي من أنبيائك فارفع عني ما أنا فيه بل كان في غاية الأدب مع الله تعالى حتى في طلبه للشفاء وكشف البلاء واستمع لدعائه عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ ينادي ربه وكيف استعمل أسلوب الأدب فيه مع الله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣].

ما قال أنت ابتليتني يا رب، أو أنا نبي من أنبيائك بل أظهر الذل والمسكنة والافتقار إلى الله تعالى، ولم ينسب الضر إلى الله سبحانه مع أن الضر والخير كله من الله، مما يدل على تأدبه بأدب الخطاب مع الله.

ثم نجد أنه وهو في هذه الحال العصيبة من المرض وغيره فوض الأمر إلى الله تعالى الحكيم فيما يقضي واللطيف فيما يدبر ويقضي ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣]، وكأنه يقول: أنا أرجو لطفك وعونك، وأنت بصير بخلقك، حكيم في فعلك، أعلم بما يصلح لي من نفسي.

قال الله بعدها مباشرة لورود حرف الفاء ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء:٨٤].

(١) تفسير ابن كثير، (٥/ ٣٦١).

وهنا نكتة جميلة وهي أنه قد يرد إلى البعض أن أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد اشتكى والشكوى منافية للصبر بدليل قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾[الأنبياء:٨٣].

فيقال أن هذا دعاء وليس بشكوى بدليل قول الله بعدها: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء:٨٤].

وقد يُجاب بجواب آخر وهو أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عز وجل فلا يكون جزعاً ولا ترك صبراً كما قال يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]. (١)

قال سفيان بن عيينة: " وكذلك كل من أظهر الشكوى إلى الخلق وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً كما روي أن جبريل دَخَلَ عَلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مَرَضِهِ فقال: كيف تَجِدُك؟ قَالَ: «**أجِدُنِي مَغْمُوماً وأَجِدُنِي مَكْرُوْبَاً**» " (٢).

وقال لعائشة حين قالت وا رَأْساه: «**قالَ بَلْ أَنا وا رَأْساه**»(٣) .

أقول: بل إن الشكوى إلى الله تعالى مع الانكسار والتذلل من أعظم أنواع العبادة وأزكاها، وهل أنجى الله الأنبياء والصالحين من كرباتهم إلا بالتذلل والانطراح والخشوع لله رب العالمين؟

قال الزمخشري: " ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب" (٤).

(١) انظر: تفسير البغوي، (٣/ ٣١٠).
(٢) الشريعة للآجري، (٤/ ١٦٢٤).
(٣) صحيح البخاري، (٧/ ١١٩).
(٤) الكشاف، (٣/ ١٣٠).

ويقال والله أعلم أن امرأته قالت له يوماً:

لو دعوت الله، فقال لها: كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة، فقال: أنا أستحي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي[١].

وهكذا فإن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل[٢] وفي الحديث «**يُبْتَلى الرَّجُلُ عَلى قَدْرِ دِينِه، فَإِن كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيْدَ فِي بَلَائِه**»[٣].

ولما شاء الله أن يكشف البلاء عن نبيه أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال له: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص:٤٢].

قال ابن كثير:" أي اضرب الأرض برجلك، فامتثل ما أمر به، فأنبع الله له عيناً باردة الماء، وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها، فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى، والسقم والمرض، الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة، وجمالاً تاماً ومالاً كثيراً، حتى صب له من المال صباً، مطراً عظيماً جراداً من ذهب.

وأخلف الله له أهله، كما قال تعالى:

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ [الأنبياء:٤٢].

فقيل أحياهم الله بأعيانهم، وقيل آجره فيمن سلف، وعوضه عنهم في الدنيا بدلهم وجمع له شمله بكلهم في الدار الآخرة "[٤].

---

(١) **المصدر السابق؛ وابن كثير**، (٥/ ٣٦٠).

(٢) رواه **الترمذي**، (٢/ ٦٤)؛ **وابن حبان**، (٦٩٩)؛ **والحاكم**، (١/ ٤٠)؛ وقال الألباني: وهذا سند جيد رجاله كلهم رجال الشيخين ، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، (١/ ٢٧٤).

(٣) رواه **أبو داوود**، (١/ ١٧٤)، **وأحمد** (٣/ ١٢٨)؛ والحاكم في **المستدرك**، (١/ ٩٩)؛ والحديث صححه الألباني في **صحيح الجامع الصغير**، (١/ ٢٣٠).

(٤) **قصص الأنبياء**، (١/ ٣٦٧).

المبحث العاشر

أدب يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ربه سبحانه

قال الله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧ - ٨٨].

وذا النون يعني صاحب النون، والنون هو الحوت، والمقصود يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] بعثه الله إلى أهل قرية "نينوى"، وهي قرية من أرض الموصل، فدعاهم إلى الله، فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك، وعلموا أن النبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، ثم تضرعوا إلى الله عز وجل، وجأروا إليه، ورغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثغت الغنم وحملانها، فرفع الله عنهم العذاب.

قال الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [يونس:٩٨].

وأما يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فمارت بهم، وخافوا أن يغرقوا، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه، فوقعت القرعة على يونس، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضاً، فأبوا، ثم أعادوها فوقعت عليه أيضاً، قال الله تعالى: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴾ [الصافات:١٤١].

أي: وقعت عليه القرعة، فقام يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتجرد من ثيابه، ثم ألقى نفسه في البحر، وقد أرسل الله، سبحانه وتعالى، من البحر الأخضر - فيما قاله ابن مسعود- حوتاً يشق البحار، حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة، فأوحى الله إلى ذلك

(١) انظر: تفسير الطبري، (١٨/ ٥١١)؛ والثعلبي،(٦/ ٣٠١)؛ والبغوي، (٣/ ٣١٣)؛ وابن كثير، (٥/ ٣٦٦).

الحوت ألا تأكل له لحماً، ولا تهشم له عظماً؛ فإن يونس ليس لك رزقاً، وإنما بطنك له يكون سجناً.

قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، وكذا روي عن ابن عباس، وعمرو بن ميمون، وسعيد بن جبير، ومحمد بن كعب، والضحاك، والحسن، وقتادة" [(١)].

يونس عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أحس بالذنب الذي ارتكبه، وبالخطأ الذي جناه، وقد قال أهل العلم أن ذنب يونس عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أنه خرج من قرية نينوى دون إذن من الله تعالى له بالخروج، فعاقبه الله على ذلك.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧].

أي ظن أن لن يعذبه الله بهذا العقاب الذي أصابه[(٢)]، فلما أصابه ما أصابه من أمر الله تعالى، لجأ يونس عَلَيْهِٱلسَّلَامُ إلى سلاح الأنبياء والصالحين، ذلك السلاح الذي لا يخيب من تسلح به وهو التذلل والخشوع والخضوع لله، والانكسار بين يديه سبحانه وتعالى.

وعلم أنه لا منجا ولا مهرب من الله إلا إليه، فنادى في تلك الظلمات الحالكة وفي ذلك المكان المهول، نادى بالتوحيد أعظم شئ يحبه الله، ثم أردفه بالتنزيه، ثم كان الاعتراف بالذنب والخطيئة وهذا هو الأدب مع الله تعالى.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [الأنبياء:٨٧].

فياله من موقف عظيم، قال الله بعدها:

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨].

(١) تفسير ابن كثير، (٥/ ٣٦٧).
(٢) تفسير الطبري، (١٨/ ٥١٤).

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ**»[1].

وهكذا ينبغي على كل مؤمن ومؤمنة أن يتعلم من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام فن الأدب مع الله تعالى، وحسن الخطاب، وإتقان التذلل والخضوع والخشوع والمسكنة لله رب العالمين، فإن الله يحب الانكسار من عباده، والافتقار إليه.

اللهم اجعلنا أفقر الناس إليك، وأغنى الناس بك، وأذل الناس إليك وأعز الناس بك، وأضعف عبادك إليك وأقواهم بك يا رب العالمين.

(١) أخرجه أحمد، (٣/ ٦٥)؛ والبزار، (٣/ ٣٦٣)؛ والحاكم في المستدرك، (٦/ ٦٨٤)؛ والترمذي، (٥/ ٤٠٩)؛ والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع، (١/ ٦٣٧).

المبحث الحادي عشر

أدب زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه سبحانه

ويظهر ذلك جلياً في دعائه لربه واستغاثته به حين أدركه حب الولد، وتاقت نفسه إليه قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩].

فياله من أدب، ويا له من تحنن وتودد، حين أتى بالسبب قبل الطلب، ثم ألقى بالخيار إلى الله تعالى وكأنه يقول يا رب أنت أدرى بمصلحتي من نفسي.

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ [الأنبياء:٨٩].

أي بدون ذرية تقوم على رعايتي، ولا وارث يقوم بعدي في الناس، وفي سورة مريم:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:٤].

قال البغوي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:" سأل الولد، وإنما سأله ليكون له معيناً على عبادة ربّه، وليقوم فى النبوة مقامه، ولئلا تنقطع بركة الرسالة من بيته "[(١)].

قال الطبري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:" رغب زكريا في الولد، فقام فصلى، ثم دعا ربه سراً، فقال:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم:٤]. ويعني بقوله (وهن) ضعف ورق من الكبر"[(٢)].

﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم:٤]، أي: ابيض شعر الرأس مني.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾ [مريم:٥]، أي: بنو العم، وقال مجاهد: العصبة. وقال أبو صالح: الكلالة، وذلك أنه رغب أن يكون من ذريته من يخلفه في النبوة من ولد يعقوب لأن زكريا من آل يعقوب، ولاشك أن هذا من الخير الذي يحرص عليه كل لبيب.

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ [مريم:٥]، أي: عقيماً لا تلد.

---

(١) تفسير القشيري، (٢/ ٥٢٠).
(٢) تفسير الطبري، (١٨/ ١٤٣).

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء:٩٠].

استجاب الله دعاء زكريا وأعطاه يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩].

ثم أتى القرآن بلفتة جميلة، وعبرة عظيمة في سبب استجابة الله لزكريا ومحبته له قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

﴿وَكَانُوا۟﴾ [الأنبياء:٩٠]، يدل على أن معرفة الله في الرخاء سبب في دفع كل بلواء، ولا شك أن هذه هي وصية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديثه المشهور: كنت رديف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: تعرف إليه في الرخاء، يعرفك في الشدة[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سَرَّهُ أن يستجيبَ اللهُ له عندَ الشَّدائدِ و الكُرَبِ ، فلْيُكثِرِ الدُّعاءَ في الرَّخاءِ**»[2].

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠].

قال الثوري: «﴿رَغَبًا﴾ فيما عندنا، ﴿وَرَهَبًا﴾ مما عندنا، يعني: أنهم قد جمعوا بين الرجاء والخوف وهذا هو حال المؤمن في هذه الدنيا».

﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء:٩٠]. قال أبو العالية: «خائفين».

وقال أبو سنان: " الخشوع هو الخوف اللازم للقلب، لا يفارقه أبدًا، وعن مجاهد أيضاً ﴿خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، أي: متواضعين».

وقال الحسن، وقتادة، والضحاك: «﴿خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، أي: متذللين لله سبحانه وتعالى" [3].

---

(١) **رواه أحمد**، (٥/ ١٩)؛ وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند (صحيح)؛ ورواه الحاكم في **المستدرك**، (٣/ ٦٢٣)؛ وصححه الألباني في **صحيح الجامع**، (١/ ٥٦٩).

(٢) رواه الحاكم في **المستدرك**، (١/ ٧٢٩)، وقال صحيح الإسناد.

(٣) **تفسير ابن كثير**، (٥/ ٣٧٠).

المبحث الثاني عشر
أدب داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه سبحانه

أثنى الله على نبيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آيات من القرآن قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ:١٠].

قال البغوي:" يعني النبوة والكتاب، وقيل: الملك، وقيل: جميع ما أوتي من حسن الصوت، وتليين الحديد، وغير ذلك مما خص به "[(١)].

كان داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذا قرأ الزبور يقف الطير في الهواء يرجع بترجيعه، ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشياً.[(٢)]

ومع ذلك كان في غاية الأدب مع الله تعالى، فحينما تسور عليه الخصمان محرابه والمحراب هو: أشرف مكان في داره عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقد كان أمر أن لا يدخل عليه أحد وقت عبادته ومناجاته ربه.

فلم يشعر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلا وقد أحاط به رجلان يسألانه عن شأنهما قال أحدهما ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٣].

وقد قيل في تفسيرها أقوال، **والمترجح عندي** أن ما في الآية على ظاهره وهو أنهما اختصما في أغنام لهم فقضى بينهما بالحق، ولم تتعرض الآيات للذنب الذي أحدثه نبي الله داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربما لعدم الحاجة إلى ذكره.

وأما سجوده لربه ومسارعته في التوبة والإنابة والخضوع فإنه الأدب مع الله تعالى والخوف من مكر الله وفتنته ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

---

(١) انظر: **البغوي**، (٣/ ٦٧١)؛ **وابن كثير**، (٦/ ٤٩٧).
(٢) **البداية والنهاية**، (٢/ ١٣).

وهكذا هو حال عباد الله الصالحين، وأولياءه المتقين، ما إن يُحسوا بتقصير مع خالقهم، أو خروج عن محراب الطاعة إلا ويسارعون بالاستغفار والإنابة والرجوع إلى الله تعالى، وإن كان سبب الإنابة والسجود عند داوود هو لشعوره بذنبٍ أذنبه أو خطيئةٍ عملها فلا شك أن جنوحه إلى التوبة معززة بطاعة السجود هو الأثر البالغ والعمل المحمود في مثل هذه الأمور على قول من قال بأن داوود أحدث خطيئة، وهي أنه بادر بالحكم قبل سماعه من الخصم الآخر.

ويكفي أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رآها كبيرةً في جناب من يعظم ويحب، حتى وإن هانت عند كثير من البشر.

وما سيق من الإسرائيليات في أنه رغب في زوجة أوريا، وأنه تحايل على قتله ليتزوج بامرأته فإن هذا الفعل لا يليق بأوساط الناس فكيف بنبي من أنبياء الله تعالى وللأسف أن الإمام الطبري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - على جلالة قدره وغزير علمه ساق الروايات في ذلك وكأنه هو الصحيح المعتمد دون أدنى تعليق أو أثرة من تنبيه[1].

ولا شك أن هذا عظيمٌ في حق أفراد الناس فكيف بنبي كريم معصوم من الشرك وكبائر الذنوب ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [الأنعام:١٢٤].

فاللهم ارزقنا حسن الأدب معك، والتخلق بأخلاق الأنبياء والمرسلين والتأدب بأدبهم يا أكرم الأكرمين.

(١) تفسير الطبري، (٢١/ ١٨٤).

المبحث الثالث عشر

أدب سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ربه سبحانه

عند قوله تعالى: ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [ص:٣١ - ٣٣].

سليمان بن داود عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، وقد آتاه الله ملكاً عظيماً، وعلمه لغة الطير، وبلغ ملكه أرجاء الأرض كلها، فكان في غاية الأدب والتواضع لله رب العالمين.

في يوم من الأيام أشغلته خيله المعدة للجهاد في سبيل الله تعالى عن صلاة العصر فقام عليها نحراً وتقطيعاً جزاء وتأديباً لنفسه وتكفيراً عن خطيئته، قال الله تعالى حكاية عنه

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ [ص:٣١]، وهي: الخيل.

﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [ص:٣٢ - ٣٣].

قال ابن كثير:" والذي عليه أكثر السلف أنه مسح عراقيبها وأعناقها بالسيوف "(١).

وبه قال ابن عباس وقتادة والحسن والسدي ومقاتل وأكثر المفسرين.

ورجح الطبري أن المقصود بالمسح في الآية: أنه مسح سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حباً لها وشفقة عليها(٢).

(١) ابن كثير، (٧/ ٦٥)؛ والبغوي، (٤/ ٦٨).
(٢) الطبري، (٢١/ ١٩٥).

قال ابن كثير تعليقاً على ترجيح الطبري:" وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر، لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله عز وجل بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة، ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله تعالى ما هو خير منها وهي الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل " (١).

وقال البغوي :" وهو قول ضعيف والمشهور الأول" (٢).

قال البغوي:" ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ [ص: ٣٣]، فردوها عليه، فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقرباً إلى الله عز وجل وطلباً لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته" (٣).

وهذا هو الأدب مع الله تعالى، فإنه لم يرغب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يشغله شيء عن طاعة الله الواجبة، مع أنه كان في طاعة لله أيضاً إلا أنه رأى أن النفل أشغله عن الفرض ولذا سماه الله أواباً ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠] .

قال البيضاوي: " ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]، رجاع إلى الله بالتوبة، أو إلى التسبيح مرجع له " (٤).

أشغلته عبادة نفل عن فرض فكان هذا الرجوع والإخبات والإنابة، حقاً إنه أدب الأنبياء عليهم السلام، وتربية الله لهم.



(١) ابن كثير، (٧/ ٦٦).
(٢) البغوي، (٤/ ٦٨).
(٣) تفسير البغوي، (٤/ ٦٧).
(٤) تفسير البيضاوي، (٥/ ٢٩).

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أحمده سبحانه لا أحصي ثناء عليه كما أثنى على نفسه.

أما بعد: فلقد عشت فترة من الزمن في هذا البحث المبارك مع أنبياء الله عز وجل وعلى رأسهم وخيرهم سيدنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ننظر سيرتهم، ونقتفي أثرهم، ونتعلم من أدبهم ونتخلق بأخلاقهم ونقتبس من نورهم.

ولقد صدق الله ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤].

اختارهم سبحانه وأدبهم فأحسن تأديبهم وفي الحديث «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**»[(١)] فاستفدت فوائد جمة، ومن تلك الفوائد:

- أن الأدب مع الله باب فقه عظيم يجب أن يتعلمه طالب العلم حتى يتقنه.
- فضل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على غيره من الأنبياء، وفضل هذه الأمة على غيرها من الأمم.
- إكرام الله لبني الإنسان، وأن إبليس هو سبب كل بلاء وشر، وأعظم أسباب البلاء أنه كان سبباً في إخراجنا من جنات النعيم.
- فضل الأنبياء على غيرهم من الناس.
- بشرية الأنبياء وأنهم يتعرضون للأذى والظلم والإهانة ويحتاجون إلى الصبر والثبات والتوكل على الله.

(١) أخرجه السمعاني، في كتابه **أدب الإملاء**، (١/ ١)؛ وقال ابن تيمية في **مجموع الرسائل الكبرى**، (٢ / ٣٣٦) : معناه صحيح؛ وقال الألباني: ضعيف انظر: **السلسلة الضعيفة**، (٥/ ٢٠٧).

- أن الصبر وحسن الظن بالله تعالى سبيل كل خير، ومفتاح كل ضيق وهم.

- يتحطم كل شئ أمام قوة الإيمان.

- أشد الناس بلاء هم الأنبياء، فلا مفر من الابتلاء والامتحان في هذه الدنيا ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:٢١٤].

- عداوة الشيطان المتأصلة والقديمة لبني الإنسان وأنه لم يسلم منه أحد حتى الأنبياء عليهم السلام.

- جميع الأنبياء عليهم السلام يتفقون على أن الذل لله هو العز ، والضعف لله هو القوة، والفقر إلى الله هو الغنى.

- سلاح الأنبياء إذا عصفت بهم المحن هو التذلل والخضوع والخشوع.

- قصص الأنبياء فيها تسلية وتثبيت لقلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولمن بعده من الدعاة والصالحين والمؤمنين عموماً.

- قد يبتلي الله عباده المؤمنين، ليمتحنهم ويختبرهم ويمحصهم ولكنه لا يتخلى عنهم أبداً ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف:١١٠].

اللهم اجعلنا لك ذاكرين، لك شاكرين، لك مخبتين، لك أواهين منيبين، سبحانك وبحمدك نستغفرك اللهم من تقصيرنا ونتوب إليك.



المصادر والمراجع

١. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩ هـ)، تحقيق وتخريج الأحاديث والتعليق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ ، ١٤١٨ هـ.

٣. **تفسير القرآن العظيم**، لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٤. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٥. **جامع البيان في تأويل القرآن**، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٦. **الجامع الكبير - سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت - ١٩٩٨ م.

٧. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.

٨. **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، لأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٩. **سنن أبي داود**، لأبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

١٠. **سنن الدارقطني**، لأبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق وضبط النص والتعليق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

١١. **صحيح ابن خزيمة**، لأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي – بيروت.

١٢. **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، لأبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.

١٣. **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، لأبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة.

١٤. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ ، ١٤٠٧ هـ.

١٥. **لسان العرب**، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط٣ ، ١٤١٤ هـ .

١٦. **لطائف الإشارات = تفسير القشيري**، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك لقشيري (ت: ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط٣.

١٧. **المجتبى من السنن = السنن الصغرى**، للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦ هـ– ١٩٨٦م.

١٨. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ، ١٤٢٢ هـ.

١٩. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م.

٢٠. **المستدرك على الصحيحين**، لأبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.

٢١. **مسند ابن أبي شيبة**، لأبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن – الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

٢٢. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، لأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٣. **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، لأبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

٢٤. **مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)**، لأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٥. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٦. **مشكاة المصابيح**، لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (ت: ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.

٢٧. **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١ ، ١٤٢٠ هـ.

٢٨. **المعجم الكبير**، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢.

٢٩. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، لأبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ.